القَلْفَاطُ الأَنْدَلُسِيُّ حَياتُهُ وَشِعْرُهُ*

Osama ALKHALAF**

الملخّص:

يعرضُ البحث علماً من أعلام العصر الأندلسيِّ مشهوراً في عصره، ومغموراً لدى الباحثين في العصر الحالي؛ سيقف البحث على التعريف من حيث اسمه وحياته، كما سيتطرّق أيضا إلى علاقاته كاتّصاله بالخلفاء والأمراء آنذاك، إلى جانب ذلك يتناول البحث وصفاً عامّاً للفترة الزمنيَّة التي عاش فيها، بعد ذلك ينتقل البحث إلى الأغراض الشعريَّة التي وصلت إلينا من شعره، والوقوف على شعره، والبحث فيما إذا كان هذا الشعر جيّداً أم رديئاً؟، وهل تنوّعت أغراضه أو له غرض معينٌ، وهل كانت لديه مهنة أو كان أنه كان يكتفي بالشعر، كل هذه الأفكار سيتناولها البحث، وسيذكر في ختام البحث أهمَّ النتائج التي وصلت إليها، مع بعض التوصيات إن شاء الله.

الكلمات المفتاحية: أدب، شعر، عصر، أندلسيٌّ، مغمور، القَلْفاط.

* Makale Geliş Tarihi / Received: 13.06.2024 / Makale Kabul Tarihi / Accepted: 22.07.2024

**ماجستير في اللغة العربية وثقافتها.

Email: osamaalkhalf1998@gmail.com / https://orcid.org/0000-0002-3625-8113

el-Kalfat el-Endelüsî'nin Hayatı ve Şiirleri

ÖZ

Araştırma, Endülüs dönemi ünlü şahsiyetlerinden biri olan ancak günümüz araştırmacıları arasında pek tanınmayan bir ismi ele almaktadır. Araştırma, bu şahsiyetin ismi ve yaşamı hakkında ayrıntılı bilgi sunmayı hedeflemektedir. Ayrıca dönemin halifeleri ve emirleriyle olan ilişkilerine de değinecektir. Bunun yanı sıra yaşadığı dönemin genel bir tasvirini ortaya koyacaktır. Ardından günümüze ulaşan şiirlerinden yola çıkarak, bu şiirlerin kalitesini ve çeşitliliğini inceleyecek; şiirlerinin iyi mi kötü mü olduğunu, temalarının çeşitli mi yoksa tek bir amaca yönelik mi olduğunu araştıracaktır. Ayrıca, bu kişinin sadece şiirle mi geçimini sağladığını yahut farklı bir meslek icra edip etmediğini değerlendirecektir. Araştırma, bu konuları kapsamlı bir şekilde ele aldıktan sonra, elde edilen ana bulguları ve bazı önerileri sunarak sonuçlanacaktır.

Anahtar kelimeler: *Edebiyat, Şiir, Çağ, el-Endelüsî, Bilinmeyen, el-Kalfat.*

Al-Qalafat al-Andalusi His Life and Poetry

ABSTRACT

The research presents a prominent figure from the Andalusian era who was well-known in his time but is unknown among current researchers. The research will introduce him by shedding light on his name and life, and it will also touch upon his relationships, such as his connections with caliphs and princes of that era. Additionally, the research will provide a general description of the period in which he lived. Following that, it will examine the poetic themes that have reached us from his poetry, assessing whether his poetry was good or bad, whether his themes were varied or focused on a specific purpose, and whether he had a profession or relied solely on poetry. All these aspects will be covered in this research. The study will conclude with the main findings and some recommendations, God willing.

Keywords: *Literature, Poetry, Era, Andalusian, Obscure, Al-Qalfat.*

تمهيد:

عُرِفَ الأندلسيُّون ببراعتهم في الأدب نثره وشعره، وعرفوا بتعليمهم النحو، وتنوَّعت أغراضهم النثريَّة والشعريَّة فكتبوا في كلِّ الأغراض، كالرَّسائل والخطب في النَّثر، والغزل ووصف الطَّبيعة، والموشَّحات في الشِّعر، وأبدعوا فيها، وتميَّزوا عن المشرق العربيّ بوصف الطبيعة والبحر، وتميَّزوا بالموشَّح الأندلسيّ، أمَّا عن شهرتهم في المشرق العربيّ فظلَّت موجودةً إلى يومنا هذا، ولكنْ هناك بعض الأدباء والشَّعراء ما وصلنا من شعرهم وأخبارهم إلَّا اليسير، لسببٍ من الأسباب، ومنهم الشَّاعر القَلْفاطُ.

1. اسمه ونسبه:

"هو أبو عبد الله محمد بن زكريا القرطبي المعروف بالقَلْفاط، لكن لا نعرف عن حياته الأولى إلّا أنّه كان أحد المعلّمين، ويبدو أنّه كان قديم العهد بصناعة التعليم حتّى أصبحت له الجرأة على العبث بزملائه المؤدّبين، وكان القَلْفاطُ يدرس النحو، فقد كان بارعاً في علم العربيّة، حافظاً لها مقدّماً فيها، ولم يكن أحد يقارب الحكيم[1] الأندلسي في علمه غيره، وكان حافظا للغة بصيرا بها".[2]

[1] "محمد بن إسماعيل النحوي، المعروف: بالحَكيم من أهل قُرْطُبَة؛ يُكَنَّى: أبا عَبْد الله. سمع: من محمد بن وضَّاح، ومحمد بن عبد السلام الخُشَنِيّ، ومُطَرِّف بن قيس، وعَبْد الله بن مَسَرَّة، ومُحَمَّد بن عَبْد الله بن الغازي. وكان: عالما بالنحو والحساب، دقيق النظر، مثيرًا للمعاني، مولدًا لها لا يُتَقَدّم في ذلك، وعمرّ إلى أن بلغ ثمانين عامًا. وأدّب أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله رحمه الله. وتُوفِّيّ: لعشر خلون من ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين وثلاث مائة. ذكر بعض ذلك خالد".

عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي أبو الوليد المعروف بابن الفرضي، اعتنى به وصححه: السيد عزت العطار الحسيني، الخانجي، القاهرة 1988م، 2/54.

[2] عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، الكويت، 1984م، ط1، 4/220.

أورد إحسان عباس إضافة على اسمه، وقال اسمه: محمد بن يحيى القَلْفاط[3]، وهذا ما ورد في المصادر والمراجع التي وصلت إليها، والغالب أنَّ اسمه على هذه الصورة: محمَّد بن يحيى بن زكريَّا القَلْفاط الأندلسيّ، وكنيته أبو عبد الله.

قد عرفنا اسمه ونسبه ومهنته من هذا الكتاب، ويبدو أنّه كان مشهوراً جدّاً في زمانه، إذ شهدوا له بالتعليم، وخبرته في النحو، وهذا ما لم نكن نعلمه عنه مسبقاً.

2. معنى اسمه:

"قلفاط: من لفظ (قلف) العربي التركي ومعناه (مقدم) العمال أو الفرقة، ثم انتقل إلى اليونانية (كالافاتيس)، أي عامل بالسفينة، وضبط ابن قاضي شهبة (القَلْفاط) بفتح القاف وسكون اللام".[4] ويبدو أن لقب القَلْفاط لم يكن عربيّاً، لكني لم أستطع الوصول إلى الشخص الذي أطلق عليه هذا اللقب، وأما السبب الذي دعاه لإطلاقه عليه فغالباً هو وساخة ثيابه وقذارتها.

3. أحداث حياته:

أمَّا أحداث حياته البارزة فتكاد تتجمَّع في حياة الأكبر عبد الله بن محمد (275-300) هـ، وأيَّام عبد الرحمن الناصر (300-350) هـ، وقال الحميدي: "وأظنُّه كان في أيام المستنصر".[5]

[3] إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة، بيروت، 1969م، ط2، ص:131.

[4] المعجم الوسيط، مادة قلف.

[5] فروخ، 1984م، ص: 220.

والرَّاجح أنه عاش في القرن الرابع الهجري، يقول فروخ: " ولا نستبعد أن يكون القَلْفاط قد عاش ردحا من الزمن في القرن الرابع الهجري، ثم إن عبد الرحمن الناصر قد عهد إليه وإلى نفر آخرين بنسخ شعر أبي تمَّام وترتيبه، ولا يمكن أن يكون عبد الرحمن الناصر قد تفرَّغ لذلك قبل أن هدأت أحوال الأندلس وتسمَّى هو بالخلافة (316) هـ".[6]

فلعلّ هذا كله يؤكِّد لنا أنه عاش إلى (325) هـ، وربما أكثر أيضاً.

ومن أحداث حياته أيضاً ما رواه الزبيديُّ: " وكان محمد بن يحيى كثير التَّلْب لأعراض النَّاس، شديدَ التعرُّض لهم، كثيرَ المهاجاة للأدباء، وكأنّه شأنُه التَّهكُّم بالمؤدِّبين، يتطرَّق عليهم، ويتنكَّر لهم، وقد ذكرنا قصَّته مع صالح بن معافى. وكان مع ذلك وسخَ الثيابِ، رَذْلَ الهيئةِ، نَزْرَ المروءةِ، وعن العباس الطَّبِيخيّ قال: لما كثَّر محمدُ بن يحيى بهجاءِ حُرقُوص، وكان سبب هجائه أنَّ حرقوصاً وعده بالخروج معه إلى كرْمٍ له بالجبلِ، فشُغِل عن أن يفِيَ له بما وعده، فلجَّ محمدُ بنُ يحيى في هجاء حُرقوصٍ، فبلغ ذلك والدَ حرقوص، فدارى محمد بن يحيى ولاطفه، واستركبه إلى الكرم، وجنى له منه ما حمله إلى منزله، فلم يرجع محمد بن يحيى عن هجائه، فاستخار اللهَ حرقوصٌ في الفتك به، فتوخَّى وقتًا يخلو فيه محمد بن يحيى في داره، وأعدَّ معه سكيناً، ثم تسوَّر عليه في داره، فلما بصُر به محمدٌ أيقنَ بالشر، واستقبل القبلة ودخل في الصلاة، فأمسك عنه حرقوص، فقال: يا فاسق، واللهِ لولا أنك عذتَ بالله؛ للقيتُ الله بدمائِك؛ فإنك زنديق حلال الدم".[7]

---

[6] فروخ، 1984م، ص: 221.

[7] محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج بن الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1973م، ص: 280.

ومن أخباره أيضاً ما أورده إحسان عباس في كتابه عن كره الناس له بسبب كثرة هجائه:

"هكذا هجاؤه كاد أن يجني عليه، وكذلك كان ميله إلى العبث سبباً في مآزق كادت تودي بحياته، ذلك أنّه كان يحب التهكّم بالمؤدّبين، ويحتال بصنوف الحيل ليعبث بهم. تنكّر ذات مرة ودخل على مؤدّب اسمه صالح بن معافى، وأظهر له أنه يريد أن يلقى العلم على يديه وانتسب له إلى البادية، فاجتهد صالح في تأديبه، وتبصيره، ثمّ دلّ على حقيقته فلما جاءه ذات يوم أمر تلاميذه بربطه إلى أحد أعمدة المسجد وضربه، وتداول تلامذته ضربه كذلك حتّى كادوا يأتون عليه". [8]

ومن أخباره التي أوردها إحسان عباس أيضاً: "وممن تولع بهم وآذاهم بهجائه أبو زيد الأديب.

ومن كل هذا يتجلّى لنا أن الإسراع إلى الهجاء والذم كان طبعاً متأصّلاً في القَلْفاط لا ينفكُّ عنه.

كما كان القَلْفاط من حيث مظهره وسخ الثياب رذل الهيئة. وكان يجمع إلى قدرته في الشعر، قدرةً فائقةً في اللُّغة، ولم يكن أحدٌ يقارن الحكيم صديقه في علمه وثقابة ذهنه في نظره غيره، ولذلك عُدَّ القَلْفاط في النحويّين، وأورد له الزُّبيديُّ قصيدةً جمع فيها بعض المسائل والأحاجيّ النحويَّة، ويبدو أنَّه لم يؤلِّف في النَّحْو، وإنّما اكتفى بالإقراء والتدريس، وقد دلل الزبيدي على اطّلاعه اللغوي بحديث رواه أحدهم «لا يسجي المسلم في عرض

[8] عباس، 1969م، ص: 130.

أخيه» فاعترضه آخر وقال «لا يسحي المسلم..» بمعنى يقشر، فلما عرضت الكلمة على القَلْفاط قال: بل صوابها "لا يشحي" أي يفتح فاه بسبه من قولهم: "شحا الحمار فاه بالنهيق"، وكان محمد بن يحيى في النفر الذين جمعهم عبد الرحمن الناصر لانتساخ شعر أبي تمَّام وترتيبه". 9

يبدو لنا أنه كان شاعراً وأديباً ومعلماً إلا أنّ الناسَ لم يسلموا من سوء خلقه، وكثرة هجائه للناس وربَّما هذا سببٌ من الأسباب التي جعلته مغموراً.

4. شعره:

من خلال الشِّعر الذي وصلنا إليه يمكننا تقسيم شعره إلى قسمين رئيسين: وجدانيٌّ، وتعليميٌّ. فمن الأول:

1.4. الشِّعر الوجدانيُّ:

عُرِف القَلْفَاطُ بشعره الجيِّد وطول نظمه، فقيل عنه: "كان القَلْفاط أديباً مقتدراً في الشعر مجوِّداً مطبوعاً يقصد (ينظم القصيدة) فيحسن ويطيل، ولكن لم يصل إلينا من شعره إلَّا القليل، وكانت فنون شعره تنحصر بـ: الهجاء، والغزل، والمديح، ووصف الطبيعة، لكن توثُّبه بالهجاء جعله قليل الحظوة عندهم وشهرته بالهجاء خاصةً".[10]

يبدو أنَّ شعر الهجاء قد كان سبباً من أكثر الأسباب التي جعلته مغموراً.

---

[9] عباس، 1969م، ص: 132.

[10] فروخ، 1984م، ص: 221.

1.1.4. الهجاء:

يُعَدُّ الهجاء من أشهر أغراضه الشعريَّة: "فأخذ في هجاء عشيرته أهل قرطبة، وكبرائها، وعظماء دولتها، فأفحش عليهم، ولما وصل إلى قرطبة أخذ يهجو إبراهيم بن حجاج بقصيدة من البحر الكامل، ومطلعها:

لا تُنْكِرِي لِلْبَيْنِ طُوْلَ بُكائِي ... فَالبَيْنُ بَرِحَ بِي وَعَزَّ عَزائِي

أَبْغِي نَوالَ الأَكْرَمِينَ مُحاوِلاً ... أَبْغِي نَوالَ البُوْمَةِ البَكْماءِ

فلما بلغت إبراهيم أغضبته، فأوصى من قال عنه يميناً مغلَّظةً، إنَّه إنْ عاد لما وقع فيه لآمرنَّ بأخذ رأسه في قرطبة على فراشه، فارتاع القَلْفاطُ المذكور لذلك وكفَّ، فكان هذا الفعل لإبراهيم في حقّ أهل قرطبة أجل مكرمة، وَعُدَّ في جميل فضائله، ولأجل هذا ساقه القاضي ابن أبي الفياض، فأكرم مثواه وأناله جزيل خيره، ورفع للناس ذكره".[11]

ونرى جرأته واضحةً في الهجاء، فيُشبّه نواله من إبراهيم، بنوال الكلام والحديث من بومة لا تتكلم ولا تنطق، وهذا هجاء في البخل، والعربي يكره أن يهجى، وأصعب هجاء هجاؤه بالبخل، والعرب معروفون بكرمهم، ممّا استدعى أن يتوعُّده إبراهيم بقطع رأسه، وهذا جعله يتراجع عن هجائه له.

"ولكن لم يقف هجاؤه عند إبراهيم بن حجاج، بل تَرَقَّتْ أَذاتُهُ إلى أنْ هجا الأكبر عبد الله بن محمد المروانيّ، فقال: [السريع]

[11] أبو العباس أحمد بن عذاري، البيان المعرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تح: بشار عواد معروف، ومحمود بشار عواد، دار المغرب الإسلامي، تونس، 2013م، ط 1، 147-2/146

ما يَزْجَي العاقِلُ في مُدَّةٍ ... الرِّجْلُ فِيها مَوْضِعَ الرَّأْسِ؟!"[12]

وهذا ليس من الهجاء البسيط، بل هجاء قاسٍ في شخصٍ مثل عبد الله المرواني.

ولم يقف عند هذا الحد بل تجاوزه إلى شيء آخر، يقول اليماني في كتابه: "وكان يختلف لتأديب ابن المقوس الكاتب، فكتب على لوحه: [مجزوء الرمل]

نَظَرَتْ عَيْنِي إِلَيْهِ ... وَأَنا أُلْقِي عَلَيْهِ

نَظْرَةٌ أَلْقَتْ فُؤادِي ... مَيِّتاً بَيْنَ يَدَيْهِ

كَيْفَ لا وَالمَوْتُ جارٍ ... بِقَضايا مُقْلَتَيْهِ

فعثر أبوه على اللوح وفهم الغرض فمنعه عنه".[13]

لم يكن هجّاءً فقط، بل كان يلاحق الفتيان أيضاً، وهذا أيضاً من الأسباب التي جعلته مغموراً.

وهناك قصّة تروى أنها حدثت بين القَلْفاط وابنِ عَبْدِ رَبِّهِ، يقول ابن عذاري: "ومن سرعة جواب أهل الأندلس أن ابن عبد ربه كان صديقا لأبي محمد يحيى القَلْفاط الشاعر ففسد ما بينهما بسبب أنّ ابن عبد ربه صاحب العقد مرّ به يوماً وكان في مشيه اضطراب فقال أبا عمر ما علمت أنك آدر إلا اليوم لما رأيت مشيك فقال له ابن عبد ربه كذبتك

12 ابن سعيد علي بن موسى، المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1964م، ط 4، 111/1.

13 عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني، إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، تح: عبد المجيد دياب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، 1986م، ط1، ص: 340.

عرسك أبا محمد فعزّ على القَلْفاط كلامه وقال له أتتعرّض للحرم والله لأرينّك كيف الهجاء ثم صنع فيه قصيدة أولها: [البسيط]

يا عُرْسَ أَحْمَدَ إِنِّي مُزْمِعٌ سَفَراً ... فودِّعِيني سِرّاً مِنْ أَبِي عُمَرَ

ثم تهاجيا بعد ذلك، وكان القَلْفاط يلقبه بِطِلاسٍ؛ لأنه كان أطلس اللحية، ويسمي كتاب العقد حبل الثوم، فاتفق اجتماعهما يوماً عند بعض الوزراء، فقال الوزير للقلفاط: كيف حالك اليوم مع أبي عمر فقال مرتجلا: [السريع]

حالَ طِلاسٌ لِيَ عَن رائِهِ ... وَكُنْتُ في قُعْدُدِ أَبْنائِهِ

فبدر ابن عبد ربه، وقال: [السريع]

إِنْ كُنْتَ في قُعْدُدِ أَبْنائِهِ ... فَقَدْ سَقَى أُمَّكَ مِنْ مائِهِ

فانقطع القَلْفاط خجلاً، وعاش ابن عبد ربه 82 سنة رحمه الله تعالى".[14]

فاستطاع ابن عبد ربه بإسكات القَلْفاط بهجاء أشدّ من هجاء القَلْفاط.

2.1.4. الغزل:

يبدو أنَّ القَلْفاطَ لم يكن هجَّاءً فقط، بل كان ينظم الغزل أيضاً، وكان غزله رقيقاً ينساب انسياباً، وممَّا وصلنا من أشعاره الغزلية: قوله: [مجزوء الرمل]

يا غَزالاً عنَّ لِيْ فابْـ ... ـتزَّ قَلْبِيْ ثُمَّ ولَّى

[14] ابن عذاري، 2013م، ص: 146.

أَنْتَ مِنِّي بِفُؤادِي ... يا مُنى قَلْبِيْ أَوْلى"[15]

إنّ من يقرأ هذين البيتين يلاحظ مباشرةً خفَّة الألفاظ وسلاستها، والجدير بالذِّكر أنَّ غزله يميل إلى العفَّة، ولم يملْ إلى الفحش، والغزل الحسّيّ كحال أغلب الشعراء.

وممّا وصلنا من غزله:

" وأورد له الثعالبي قطعتين من الغزل ولعلهما تكونان من قصيدة واحدة، والأولى منهما من البحر الوافر:

طَوَى عنِّي مَوَدَّتَهُ غَزالٌ ... طَوَى قَلْبِي عَلى الأَحْزانِ طَيَّا

إذا ما قُلْتُ يَسْلاهُ فُؤادِي ... تَجَدَّدَ حُبُّه فَازْدَدْتُ غَيَّا

أُحَيِّيْهِ وَأَفْدِيْهِ بِنَفْسِي ... وَذاكَ الوَجْهُ أَهْلٌ أَنْ يُحَيَّا

والثانية:

أَيا طَيْفاً سَما وَهَفا إِلَيْنا ... لَقَدْ جَدَّدْتَ لَوْعاتِي عَلَيَّا

أَلَمْ مُواصِلاً كَأَخِي غَرامٍ ... سَيَذْكُرُ وَصْلَهُ ما دامَ حَيَّا

غَزالٌ لَوْ رَأَى غَيْلانُ يَوْماً ... مَحاسِنَهُ إِذَنْ أَنْساهُ مَيَّا"[16]

[15] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الأندلس، دار المعارف، القاهرة، 1989م، 257/8.

[16] أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م، ط 1، 2/58.

وهذا غزلٌ عفيفٌ رقيقٌ؛ فألفاظه سهلة، إيقاعه جاذبٌ ومرقصٌ، وتشبيهاته جميلةٌ تحاكي التشبيهات التي عهدناها عند شعراء الغزل.

3.1.4. المدح:

وعند الانتقال إلى الحديث عن المدح لدى شاعرنا فقد "ذكر ابن الفَيَّاضِ أن القَلْفاط قد قصد إبراهيم بن حجاج يمدحه بقصيدة نونية أولها من البحير الخفيف:

أَرِقَتْ رِحْلَتِي فَأَهْمَتْ جُفُونا **********"[17]

للأسف لم تصلنا هذه القصيدة.

4.1.4. المناظرة:

وقد حدثت مناظرة بين القَلْفاط وصديقه الحَكِيمِ، وهذه قصّتها: "ومن أصدقاء القَلْفاط محمد بن إسماعيل الملقّب بالحكيم، وكان الغاية في علم العربية والحساب، وبات عنده القَلْفاط مرة حتى تبلج الصبح، وكادت الشمس تطلع عليهما، فانتبه القَلْفاط، وقال للحكيم: [البسيط]

يا دِيْكُ ما لَكَ لَمْ تَصْرُخْ لِتُنْبِهَنا ... لَقَدْ أَسَأْتَ بِنا دِيْكَ الدَّجاجاتِ

يا آكِلاً لِلْقَذَى يا سالِحاً عَبَثاً ... عَلى الحَصِيْرِ بَهِيْمِي البَهِيْماتِ

[17] أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م، 3/294-295.

فأجابه الحكيم: [البسيط]

لَقَدْ صَرَخْتُ عَلَيْكَ مِراراً جَمَّةً عَدَداً ... قَبْلَ الصَّباحِ وَبَعْدَ الصَّباحِ تاراتِ
لَكِـنْ عَلِمْتُكَ نَوَّامـاً وَذا كَـسَلٍ ... قَلِيلَ ذِكْرٍ لِـجَبَّارِ السَّماواتِ"[18]

فكان جواب الحكيم للقلفاط مسكتاً، ولم يترك له مجالاً للكلام، إذ داواه الحكيم بالطريقة ذاتها.

5.1.4. الوصف:

وفي الحديث عن الأغراض الشعريَّة لدى القَلْفاط لا بُدَّ من الوقوف على غرض الوصف، فالوصف من أهمّ الأغراض في الشعر الأندلسي، وهو غرض مُهِمٌّ عند القَلْفاط، وقد أجاد فيه وأحسن، وقد ذكر له أبو عامر بن مسلمة[19] أشعاراً في وصف الرياض، فقال: [الكامل]

مُزُنٌ تُغَنِّيْهِ الصّبَا فَإِذا هَمـى ... لَبَّتْ حَـياهُ رَوْضـةٌ غَنَّاءُ
فَالأَرْضُ مِنْ ذاكَ الحَيَا مُوشِيَّةٌ ... وَالرَّوْضُ مِنْ تِلْكَ السَّماءِ سَمَاءُ
ما إِنْ وَشَتْ كَفَّا صناعٍ ما وَشَى ... ذاكَ الغِناءُ بِها وَذاكَ الـمَاءُ
زَهْرٌ لَـها مُقَلٌ جَوَاحِظُ تارَةً ... تَرْنُو وَتاراتٍ لَها إِغْضاءُ[20]

---

[18] عباس، 1969م، ص:131.

[19] "محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة أبو عامر الوزير، أديب عالم شاعر في بيت أديب ورياسة، سكن إشبيلية وله كتاب سماه كتاب "الارتياح بوصف الراح» ذكر ما قيل فيها وفي الرياض والبساتين واحتفل في ذلك".
أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1967م، ص: 90-91.

[20] أبو عبد الله محمد بن فتوح الحميدي، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تح: بشـــار معروف عواد، ومحمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008م، ط1، ص: 147.

فالألفاظ السهلة، والتراكيب القصيرة الواضحة والسلسة، والبحر الكامل كل ذلك أدّى إلى إبداع في الأبيات في وصف الرياض، وإيصال صورة المكان للمتلقّي، بتوصيف دقيقٍ وجميلٍ، وفي البيت الأخير شبه الزهر بفتاة ذات عينين واسعتين تنظر مرّة، وفي غالب وقتها تخفض رأسها حياءً وخجلاً.

2.4. الشعر التعليمي:

وكما له شعر في الغزل والهجاء والوصف كان له شعر في النحو والصرف، وقد أنشد بعض الأدباء لمحمد بن يحيى القَلْفاط:

يا سائلي عن وزن مُسْحَنْكِك ... مِن آن أَيْنًا وأَنَى يَأْنِي

تقديرُه مِن آنَ "مؤينّينٌ" ... ومن أنى قولك: "مؤينّي"

فهكذا تقديره منهما ... ليسَ على ذي بصرٍ يُعْيي

ثم الكسائي وتصغيرُه ... أسهلُ شيءٍ أيها الملقي

تصغيرُهُ لا شكَّ فيه كسـ ... ـلّيٌ فمنْ في مثل ذا يُخطي!

أربعُ ياءاتٍ وأنت امرؤٌ ... نقصتَه ياءً ولم تدرِ

وبعدَ هذا فَعِيَنْ واسمَعَنْ ... فإنَّني إيَّاك مُسْتَفْتِي

عن وزنِ فَيْعُول وعن وز ... ن فعلول جميعًا من طوى يطوي

وعن فَعُولٍ من قويٍّ ومَفْـ ... ـعول أجب واعْجَلْ ولا تُبْطِي

وكيف تصغيرُ مَطايا اسم إنْ ... ـسان وما الحرف الذي تُلْقِي

منه فإنْ كنتَ به جاهلًا ... فلست تُحْلِي لا ولا تُمْري

وعن خطايا اسمًا تَسَمَّى به ... إن كنتَ تصغيرًا له تَدرِي

هل ياؤُهُ قلْ بَدَلٌ لازمٌ ... أنت لها لا بدَّ مُسْتَبْقِي

أم هل تعودُ الياءُ مهموزةً ... فَسِّر لنا تفسيرَ مُستقْصِي

إن كان تصغيرُ مطايا كتصـ ... ـغير خطايا قُلْ ولا تُخْطِي

فإن تُصِبْ هذا فأنت امـ ... ـرؤٌ أعلمُ من خليلٍ النَّحْوِي

قال محمد بن حسن: لم يصنع شيئًا في قوله: "آن أَيْنًا"، وفي قوله: "مُؤْيَنِّي"، والصواب: "آن يئينُ أَوْنًا"، وتقدير "مُسْحَنْكك" منه: "مُؤْوَنِّنٌ"؛ لأنَّ اشتقاقَ "يَئِينُ" من الأوان.

فإن قال قائل: كيف يكون "فَعَلَ يَفْعِلُ" مِن ذوات الواو، وقد حَظَرَ ذلك جماعةُ النحويين؟ قيل له: إن "يئين" على مثال "فَعَلَ يَفْعِلُ" مثل: حَسِبَ يَحْسِبُ، وكذلك زعم سيبويهِ نصًّا. وقد ذكر القُتبيُّ أنَّ "آن يئين" مقلوبٌ مِن "أنا نأنى" وذلك أيضًا غلطٌ؛ لما قد بيَّنَّاه، فأما "أنا يأنى" فمن ذوات الياء، ومنه اشتُقَّ الإني والإناء لواحد الآنية، وكذلك قوله: "ولا تُمْرِي" إنما هو: "ولا تُمِرّ"، والذي قاله من كلام العامة".[21]

تعليقات الزبيدي على نظمه تشير إلى بعض الهنّات في فكره.

21 الزبيدي، 1973م، ص: 281–280.

الخاتمة:

وفي ختام البحث لا بدَّ من الإشارة إلى أبرز ما توصلت إليه من نتائج:

إنَّ الشاعر القَلْفاط شاعرٌ أندلسيٌّ عاش في القرن الرابع للهجرة، وعلمنا أنَّه شاعرٌ هجّاءٌ ذو لسان سليطٍ، ولا يسلم أحد من لسانه. وأنَّ أغراضه الشعريَّة متنوّعةٌ من غزلٍ، ووصفٍ، وهجاءٍ، ومدحٍ، وتعليمٍ. أمَّا الغزل عنده فيميل إلى العفَّة والبعد عن الفحش، وألفاظه رقيقةٌ وسلسلةٌ وعذبةٌ.

وإنَّنا نجد من خلال نظمه التعليميّ أنَّ له اطلاعاً جيّداً على علم النحْو، لكنه لم يأتِ بجديدٍ، وعلاوةً على ذلك لديه بعض الأخطاء. وإنّي أجد أن من أسباب غموره في عصرنا كثرة توثُّبه على الناس بالهجاء، إذ لمْ يسلمْ من لسانه السَّليط عليٌّ قومٍ أو أديبٍ...

وأرى أن هذا البحث قد يقدم فائدةً ونفعاً للباحثين في الشعر إذ عرف بشاعرٍ مغمورٍ، وشعرٍ لم يكن ظاهراً، بل كان مدفوناً في بطون الكتب، وأدعو كلَّ من له رغبةٌ في دراسة الأدب الأندلسيّ أن يعود إليه، ويدرسه، ويبحث فيه عن شعرائه، وأدبائه المغمورين، فلعلَّنا نجد ما يغني مكتباتنا، واللغة العربيَّة بما فيه من علمٍ.

المصادر والمراجع:

أبو جعفر الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1967م.

ابن سعيد، علي بن موسى، المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1964م، ط4، ج1.

ابن عذاري، أحمد أبو العباس، البيان المعرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تح: بشار عواد معروف، ومحمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2013م، ط1، م2.

ابن الفرضي، عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي أبو الوليد، اعتنى به وصححه: السيد عزت العطار الحسيني، الخانجي، القاهرة 1988م

التلمساني، أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م، م3.

الثعالبي، عبد الملك أبو منصور النيسابوري، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1983م، ط1، م2.

الحميدي، أبو عبد الله محمد بن فتوح، جذوة المقتبس، في تاريخ علماء الأندلس، تح: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008م، ط1.

الزبيدي، محمد بن الحسن بن مذجح، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1983م، د.ط.

ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الأندلس، دار المعارف، القاهرة، 1989م، ج8.

عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، دار الثقافة بيروت، 1969م، ط2.

فروخ، عمر، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، الكويت، 1984م، ط1، ج4.

اليماني، عبد الباقي بن عبد المجيد، إشارة التعيين، في تراجم النحاة واللغويين، تح: عبد المجيد دياب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1986م، ط1.